



The Poetry of Zuhair bin Abi Sulma in the Light of Criticism

Sharada ali abd Asalam kaleefa *

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Bani Waleed University, Bani Walid, Libya

شعر زهير بن أبي سلمى في ميزان النقد

أ. شرادة علي عبد السلام خليفة *

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

*Corresponding author: sharadaali@bwu.edu.ly

Received: February 25, 2026

Accepted: May 23, 2026

Published: June 06, 2026

Abstract

This study aims shed light on the most important characteristics that distinguished the poetry of Zuhayr ibn Abi Sulma ,which received praise and attention from critics, especially during the Islamic era and later periods.This poet possessed a distinction unmatched by other poets of his poetry . Muslims admired his poetry from the very beginning because it contained wise sayings and views consistent with the principles of Islam, in addition to the quality of its style , and his careful refinement of it .he was even called the ' poet of the hawliyyat" due to the great care he devoted to revising and polishing his poems .These opinions were divided into two categories :impressionistic and artistic . in this study ,the researcher followed the inductive approach in analyzing and studying the critical texts.

Keywords: impressionistic opinions ,artistic opinions ,fallacies ,refinement, hawliyyat.

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم ما تميز به شعر زهير بن أبي سلمى من مزايا نالت استحسان واهتمام النقاد ولا سيما في العصر الإسلامي والعصور اللاحقة فقد تفرد هذا الشاعر بميزة لم تتسن لغيره من شعراء عصره وهي ذلك التقدير الإسلامي المبكر لشعره ،فقد أعجب المسلمون بشعره في الصدر الأول لما ضم من حكم ونظرات متفقة مع مبادئ الإسلام ، فضلا عن جودة شعره وسهولة ألفاظه، وجمال أسلوبه ،وعنايته بتنقيح شعره حتى سُمي شاعر " الحوليات" عناية كبيرة ،وقد انقسمت هذه الآراء على قسمين انطباعية، وفنية ، وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي في تحليل النصوص النقدية ودراستها .

الكلمات المفتاحية: الآراء الانطباعية، الآراء الفنية، المعاضلة، التنقيح، الحوليات.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين أفصح العرب لساناً وأعلاهم بياناً ، وعلى أصحابه الغرّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.
يزخر العصر الجاهلي بالعديد من الشعراء الذين عاشوا بين مناظر البرية وآفاق الصحراء فحكوا آثار النزاع والافتخار بالعصبية والمباهاة بالأحساب والأنساب ، والغزو وسفك الدماء إلا أن هذا العصر لم يشهد شاعراً سبج عكس تيار عصره ونادى بمبادئ إنسانية ودعا للإصلاح ونبذ الحروب كما كان زهير، ففي خضم هذه القيم الجاهلية القاسية ظل زهير يناضل بالكلمة حاملاً لواء السلام والإصلاح ولا زالت حكمه النيرة تثري الأدب العربي وتُشيد ببرايعته ومقدرته على العطاء.
وسأقدم في هذه الورقة البحثية بدايةً تعريفاً بالشاعر زهير بن أبي سلمى ، ثم سأضم مجمل الآراء النقدية حول شعره والتي انقسمت بين آراء انطباعية وآراء نقدية، وتنتهي بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال

اطلاعي على جملة من المصادر والمراجع أهمها: الأعلام للزركلي، طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي، العمدة ابن رشيق القيرواني، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الشعر والشعراء ابن قتيبة. وتتمثل مشكلة البحث في دراسة مكانة زهير بن أبي سلمى في النقد الأدبي العربي، والكشف عن المعايير التي اعتمدها النقاد في تقييم شعره، أما أهداف البحث فقد تمثلت في: التعريف بالشاعر ومكانته، رصد أبرز الآراء النقدية التي تناولت شعره، وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لوصف آراء النقاد وتحليلها. راجية من الله تعالى التوفيق والسداد في هذا العمل المتواضع الموسوم بعنوان "شعر زهير بن أبي سلمى في ميزان النقد"

أولاً: التعريف بالشاعر

لقد وردت لزهير عدة تراجم في كتب الأدب، وقد كانت مختلفة في سلسلة نسبه بعض الشيء والملاحظ على هذه التراجم أن هناك اختلافاً في كتابة بعض الأسماء والظاهر أنها تصحيف، من ذلك: لفظ "قرط، قره"، "رياح، رباح" أورد من هذه التراجم ماجاء في كتاب الأغاني على هذا النحو "هو زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قره ابن الحارث بن مازن بن ثعلبه بن ثور بن هرم بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أد ابن طابخة بن الياس من مضر بن نزار ومزينة أم عمرو بن أد بنت كلب بن وبرة"¹ وليس بين أيدينا شيء واضح عن نشأة زهير سوى أنه عاش في منازل بني عبدالله بن غطفان وأخواله من بني مرة الذبيانيين، وفي كنف خاله بشامة بن الغدير وكان بشامة شاعراً مجيداً وكان كثير المال وكان ممن فقأ عين بعير في الجاهلية وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عين فحلها"² وحياة زهير من الوجهة الأدبية مميزة فقد كان أبوه شاعراً، وكذلك خاله وأخته سلمى والخنساء، وورث عنه الشعر ابناه كعب وبُجير، واستمر الشعر في بيته أجيالاً وتوفي زهير قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة³ وقد كان شعر زهير بن أبي سلمى وهو - أحد شعراء المعلقات - محط اهتمام العديد من النقاد، قديماً وحديثاً لما حواه شعره من تميز ورفعه، وقد أثار شعره نقاشاً نقدياً مستفيضاً منذ القدم، ولكن الآراء التي تناولت شعر زهير تتفاوت في قيمتها الفنية وفي عمقها النقدي، وقد انقسمت آراء أولئك النقاد إلى: آراء انطباعية، وآراء فنية.

أولاً: الآراء الانطباعية:

وهي الآراء المبنية على الذوق الفطري لا الفكر التحليلي، فهو نقد ذوقي غير معلل وغير مشفوع بحجيات الحكم بل هو نقد يقف عند الجزئيات، فإذا ما انفعل وأعجب بها الناقد اندفع إلى التعميم في الحكم، فجعل من شاعر أشعر الناس لقوله بيتاً أو مجموعة من الأبيات ومن هذه الآراء التي قيلت في شعر زهير:

1- عثمان بن عفان: (47ق - 35هـ)

كان عثمان - رضي الله عنه - يُعجب بشعر زهير لما يتجلى فيه من الصدق فقد روى الأصفهاني قول ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي: أنشد عثمان بن عفان قول زهير: ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم⁴ فقال: أحسن زهير وصدق، لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف لتحدث الناس به قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تعمل عملاً تكره أن يتحدث عنك به⁵ هنا يظهر تأثر عثمان كغيره من الصحابة بمقياس الرسول عليه الصلاة والسلام، المستمد من التعاليم الإسلامية فقد أعجب ببيت زهير وأثنى عليه بقوله أحسن وصدق، وحكمه هنا كونه جاء مطابقاً لمقياس الصدق في القول الذي تبناه عثمان في نقده.

1 الأصفهاني، علي بن الحسين، دت، الأغاني، دار الثقافة بيروت، ج 10، ص 298
2 الجمحي، محمد بن سلام، <1980>، طبقات فحول الشعراء، دار المدني جده، ج 1، ص 263
3 ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ص 303
4 طماس، حمدو، 2005م، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار المعرفة بيروت، ص 70
5 الأصفهاني، الأغاني، ج 10، ص 118

2- الحطيئة " جرو ل بن أوس " (...-45هـ)

كان زهير أستاذ الحطيئة، وقد سُئل عنه الحطيئة فقال: (ما رأيت مثله في تكفيه على أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من اختلاف معانيها امتداحاً وذكماً، قيل له: من؟ قال ما أدري، إلا أن تراني مسلطاً واضعاً إحدى رجلي على الأخرى رافعاً عقيرتي أعوي في أثر القوافي¹ وعبارة الحطيئة تدل على إعجاب معمق بأستاذه زهير من حيث قدرته على التصرف في أغراض الشعر مدحاً وذكماً، وتوغله في المعاني إلى حيث يريد بكل يسر وسهولة. وقد سُئل الحطيئة من أشعر العرب، الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يُشتم²
يعني زهيراً

وهنا نرى الحطيئة ناقداً فطرياً إلى جانب كونه شاعراً وقد كان حكمه هذا على أستاذه زهير حكماً فطرياً غير معلل، فقد أطلق حكمه بناءً على بيت يتيم في الحكمة، فأشعر العرب في رأيه الذي ينطق بالحكمة والتجربة.

3- عبدالله بن العباس (3ق - 68هـ)

لقد كان عبدالله بن عباس كما الخلفاء الراشدون يقدرون الشعراء الذين يتجهون وجهة إسلامية وقد كان يستحسن شعر زهير لما حمله من مبادئ تتفق ونظرة الإسلام، فقد "روى محمد بن عثمان عن أبي مسمع عن ابن دأب أنه قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالساً وأصحابه يتذكرون الشعر والشعراء فيقول بعضهم، فلان أشعر، ويقول آخر بل فلان أشعر، فيقف ابن عباس بالباب فقال عمر رضي الله عنه قد أتى من يحدث أشعر الناس فلما سلم وجلس، قال عمر يا ابن عباس من أشعر الناس؟ قال زهير يا أمير المؤمنين، قال عمر ولم ذلك، قال ابن عباس لقوله يمدح هرماً وقومه بني مرّة قائلاً:

لو كان يقعد فوق الشمس من گرم
قوم لأولهم يوماً إذا قعدوا³

ورأي عبد الله بن العباس يدل على أن النقد في صدر الإسلام ظل كما كان عليه في العصر الجاهلي نقداً فطرياً يخلو من التعليل ويحكم للشاعر بأنه الأشعر لبيت أو مجموعة أبيات.

4- الأحنف بن قيس (3ق .هـ، 72هـ)

ذُكر أن معاوية سأل الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء، فقال: زهير، قال: وكيف؟ قال: ألقى على المادحين فضول الكلام قال ماذا؟ قال: مثل قوله:

وما يك من خير أتوه قائماً
توارثه آباء آبائهم قيل⁴

ورأي الأحنف لا يختلف عن غيره من الآراء السابقة كون تقديمه زهيراً كان في الغالب لتأثره بميل خاص إلى نوع بعينه من الكلام.

5- عبدالملك بن مروان (26-86هـ)

لقد مدح عبد الملك شعر زهير بقوله " ما يضير من مدح بما مدح به زهير آل أبي الحارثة من قوله: على مُكثريهم رزقٌ من يعترئهم⁵ وَ عِنْدَ الْمُؤَلِّينَ السَّمَاخَةَ وَالبِذْلُ⁵ ألا يملك أمور الناس يعني الخلافة، قال ثم قال: ما ترك منهم زهير غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه"⁶ وهذا الحكم ينطلق من نظرة عامة لبيت واحد، اتخذ عبد الملك بن مروان بيتاً واحداً فقط دليلاً على تقدم زهير على غيره من الشعراء، فقد لاحظ ان زهيراً مدح غني القوم وفقيرهم في آن واحد.

6- جرير بن عطية (28-110هـ)

ذكر ابن قتيبة قول عكرمة بن جرير لأبيه " من أشعر الناس؟ قال: أعن أهل الجاهلية تسألني أم الإسلام؟ قلت: الجاهلية، قال: زهير.⁷

1 ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، 1980م، الشعر والشعراء، دار الثقافة بيروت، ج1، ص81

2 طماس، حمدو، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص70

3 المصدر السابق، ص51

4 طماس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص12

5 طماس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص50

6 الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص314

7 ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص77

وروى صاحب الأغاني ان عمارة بن عقيل حدّث عن أبيه عن جده قال: " قال عبد الملك بن مروان ،لجبرير : من أشعر الناس ؟.قال: فقال ابن العشرين قال فما رأيك في ابن أبي سلمى ؟فقال: كان شعرهما نيراً يا أمير المؤمنين"¹

7- الفرزدق(110هـ، 728م)

لقد ذكر أبو فرج الأصفهاني قول الفرزدق " إن الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً فنحر فجاء أمرؤ القيس فأخذ رأسه وعمرو بن كلثوم سنامه وزهير كاهله والعشى والنابغة فخذيه وطرفه وليبد كركرته"² الفرزدق استعان بالمحسوسات إلا أن رأيه غير واضح المعالم، وقد جعل لزهير خير ما يُنال من البعير وهو الكاهل، والكاهل أكثر نفعاً من الرأس إذا كان منحوراً، وكأنه تخير له أنه أفضل الشعراء تميزاً وتقدماً.

8- قدامه بن موسى (153هـ، 770م)

لقد كان قدامه يُقدم زهيراً على سائر الشعراء ، يقول ابن سلام " أخبرني عمر بن موسى الجمحي ، عن أخيه قدامه بن موسى ،وكان من علماء أهل المدينة: أنه كان يُقدم زهيراً قلنا: فأى شعره كان أعجب إليه؟ قال :

التي يقول فيها:³

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ
إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا
وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا
تَلَقَّ السَّمَاةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا⁴

وهذا الرأي عام لا تعليل فيه مثل الآراء السابقة، وهذان البيتان كانا من أجود شعر زهير.

9- أبو عمرو بن العلاء(70 هـ، 154هـ)

ذكر ابن قتيبة أن أبا عمرو بن العلاء يقول الفرزدق يشبه بزهير.⁵ وقول ابن العلاء هنا يحمل نوعاً من الغموض من ناحية وجه الشبه بينهما فهل وجه الشبه المقصود هو كون زهير مقدماً على الشعراء الجاهليين عند النقاد كما ذكر في الروايات السابقة، وأن الفرزدق كما يقول الأصفهاني " والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين"⁶

أي أن كلا منهما أشعر الشعراء في عصره وهذا لا يكفي بأن يكون الحكم مطلقاً بالشبه فهذا الحكم يحيلنا على تصورات عديدة لا لتمام الشبه بينهما وقد تكون أغلبها غير دقيقة فمن المعروف أن الفرزدق يعد من أشهر الهجائيين وعُرف بسلطة لسانه وهجائه المقذع، أما زهير فقد كان يتحاشى الهجاء ، فإذا ما اعتمدنا الأخلاق

مقياساً للتشابه أو التنافر بين الفرزدق وزهير فإن التنافر سيكون الحكم بلا شك، إذ إن زهير يحث في شعره على مكارم الأخلاق،أما الفرزدق فقد كان خليعاً متهتكاً في شعره، ولعل وجه الشبه المقصود هو تشابه شعرهما من الناحية الفنية فكلا شعرهما فيه متانة وجزالة وحسن نظم وتروٍ وألفاظهما قريبة بعضها من بعض.

10- خلف الأحمر(.....، 180 هـ)

قِيلَ لَخَلْفِ الْأَحْمَرِ : زَهِيرٌ أَشْعَرُ أُمَّ ابْنِهِ كَعْبٌ؟ : قال لولا أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت أن كعباً أشعر منه ،يريد قوله:⁷

لِمَنْ الدِّيارُ بِقِنَةِ الْحِجْرِ
أَفْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمَنْ شَهْرٍ⁸

1 الأصفهاني ،الأغاني،ج10،ص109

2 طماس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ،ص191

3 الجمحي، محمد بن سلام، ج1،ص63

4 طماس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ،ص38

5 ابن قتيبة ، الشعر والشعراء،ج1،ص81

6 الأصفهاني ،الأغاني،ج10،ص95

7 ابن قتيبة ، الشعر والشعراء،ج1،ص77

8 طماس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ،ص31

وهذا ما يعرف بالمفاضلات أو الموازنات بين الشعراء وهو يركز على الصدق الشعري في العاطفة والمعنى ، وهو رأي نقدي انطباعي متطور كون المفاضلة بين شاعرين لم ينتبه لها النقاد إلا في العصر الأموي.

11- أبو عبيدة " معمر بن المثنى " (110، 209هـ)

روي قول أبو عبيدة في شعر زهير " أن ديباجته إن شئت قلت شهد إن مسسته ذاب ، وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها"¹

هنا يرى بأن شعر زهير من ناحية اللفظ يحمل الرقة والوضوح والبساطة حتى جعل أبو عبيدة يشبهه بالشهد في ذوبانه، أما من ناحية المعنى والتأثر فهو شديد الوقع والتأثير قوي كالصخر حتى ليكاد يزيل الجبال، وهو ليس بغريب كون شعره يعد أداة إصلاح وإقرار للسلام فلا بد أن يحمل من القوة مما يعينه على ذلك وفي هذا ميزة لشعره كونه يحمل الضدين في آن واحد، الرقة والقوة ولكل منهما وقع.

ومما سبق نرى أن أغلب الآراء قد أقرت بشاعرية زهير من خلال أبيات محددة وذلك من خلال ما اخترعه من فكرة أو ماتجلى فيه من الصدق أو مما سبق به زهير غيره... وجاءت أغلب الآراء خالية من التعليل....

12- أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (200هـ، 291هـ):

ذكر إحسان عباس قول ثعلب من خلال حديثه عن كتابه " قواعد الشعر" وقوله: " هو زهير أشعر شعراء الجاهلية والحطينة بعده وجريير أشعر شعراء الإسلام وبعده المرار الأسدي وجريير في صدر الإسلام كزهير في صدر الجاهلية"²

وقد علق إحسان على ثعلب قبل أن يورد هذا الرأي بقوله: " وليس له في مجالسه تعليق نقدي واحد ، وإذا تحدث عن الشعراء أورد تعليقات مجملّة سريعة....

وتفسير ذلك أن ثعلباً كان عالماً في النحو واللغة وأنه كان يعرف حده فيقف عنده"³

والملاحظ أن إحسان عباس يقلل من قيمة هذا الرأي النقدي، ومن مقدرة ثعلب النقدية عموماً، وعلى الرغم من هذا فالرأي لا يعدو أن يكون انطباعياً على الرغم من أن ثعلب من المتأخرين بالنسبة لمن تقدمه من النقاد إلا أن نقده جاء فطرياً خالياً من التعليل.

ثانياً: الآراء الفنية:

وهي الآراء المبنية على التحليل المعمق أو هي الآراء التي تقف عند الجزئيات والتفاصيل وتقوم بتحليلها وفق رؤية عميقة ومن هذه الآراء:

1- عمر بن الخطاب: (40 ق - هـ : 23هـ)

تعد أقوال سيدنا عمر بن الخطاب من أبرز ما قيل عن شعر زهير لأنها لم تكن أحكاماً عامة فطرية بل اقترنت بالتعليل ، فقد علل سبب حكمه وحلل شعر زهير وقيمه من جميع جوانبه وتوصل لمميزاته ووضحها ومن هذه الآراء ما جاء في طبقات ابن سلام (أخبرنا عيسى بن يزيد بإسناد له عن ابن عباس رضي الله عنهما" قال : قال لي عمر: انشدني لأشعر شعرائكم قلت من هو يا أمير المؤمنين؟، قال : زهير، قلت: ولم كان كذلك، قال: كان لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه)¹

ولعل هذا الخبر من أهم الأخبار الأدبية المروية عن عمر لما تضمنه من دلالات ،فقد ميّز عمر عناصر الأدب ونقدها من ناحية اللفظ والمعنى والصدق في العاطفة ففي قوله : لا يعاظم بين الكلام) والمعاطلة عند قدامة سوء الاستعارة وقال غيره بأنها تداخل الحروف وتراكيبها)² وقد أقر عمر بخلو شعر زهير من هذا العيب.

أما قوله لا يتبع حوشيه أي لا يقول كلاماً وحشياً منفراً، وهو ما نفر عنه السمع، وهو مما يعيب الشعر، يقول الجاحظ" كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً، وكذلك لا ينبغي أن يكون وحشياً"³ وأما قوله:(لا يمدح الرجل إلا بما فيه، فقد أقر أن شعره تضمن ميزة الصدق ونفى عنه المبالغة، والتي تُحيل المعنى لآخر مما يؤدي لبساً لدى السامع أو مما يجعل الحكم عليه بالكذب).⁴

1 الرافعي، مصطفى صادق، 1974م، تاريخ آداب العرب، ج3 دار الكتاب العربي، بيروت ، ص238

2 عباس ، إحسان، 1992م، تاريخ النقد الأدبي ، دار الثقافة بيروت، ص83

3 المصدر السابق، ص84

وقد روى قول عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم بن سنان (أنشدني بعض ما قال فيكم زهير ، فأنشده فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل! فقال عمر: ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم)5 وهذا ما يعرف بالإبداع الأدبي أو ما يسمى بالخلود وقد تنبه إليه عمر ، فالشعر الخالد خلود الدهر عند عمر هو ما ينبعث من عاطفة ، ويطوع نفسه في الوقت ذاته لخدمة الحق والخير كشعر زهير . وقد كان عمر يتعجب من قول زهير:

وإن الحق مقطعه ثلاث
يمين أو نفار أو جلاء¹

وسمي زهير قاضي الشعراء بهذا البيت، وهي في الحقيقة مقاطع الحق، ولذلك كان عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق " فاليمين: أن يقسم بالله، النفار: الذهاب إلى رجل يكون بمثابة حجة ينظر في المسألة، الجلاء: ان ينكشف الأمر وينجلي فتعلم حقيقته"² وقد أكدها الإسلام مع ان زهير جاهلي. وأصبح التقسيم أحد الأبواب المهمة في كتب نقد الشعر فيما بعد، ولم يزيدوا في تقديم لبيت زهير هذا، من أنه أحسن تفصيل للحقوق وإقامة أقسامها حتى روي عن عمر أنه قال: " لو أدركت زهيراً لوليت القضاء لمعرفته"³

2- ابن شرف القيرواني (390هـ، 460هـ)

يقول إحسان عباس أن ابن شرف ينتقد زهيراً لأنه عثر عن إصابة المنية للناس بقوله: خبط عشواء ويقول لسنا نطالبه بحكم ديني هنا بل نطالبه بحكم العقل، إذ لو كان ضرب المنية خبط عشواء لمات بعض الناس ونجا بعض، وإنما وقع زهير في الخطأ لأنه يرى بعض الناس يموتون في حال الهرم وبعضهم في حال الشباب فدعا ذلك خبط عشواء، ولكن المنية لا تبقى أحد إلا وتصيده حين تريد ذلك ، ثم إن زهيراً خالف العادة حين قال: " ومن لا يظلم الناس يُظلم " وقد ينتقم الضعيف المظلوم من الظالم بالحيلة ، وقد يأتي من يغلبه في ظلمه - بظلم أكبر - فيكون سبب هلاكه⁴

ويقول أيضاً في هذا الصدد حسني عبد الجليل " يلفت نظرنا إلى أن الفن بوصفه أداة من أدوات التغيير يمكن ان يكون أداة تخريب، أو أداة إصلاح ونحن نسيء إلى الشعر حين ننسب كل ما فيه إلى الحتمية الاجتماعية ، فزهير قد نفرنا من الحرب في معلقته ولكن في هذه المعلقة ما يهدم تلك الآراء التي دعا من خلالها إلى نبذ الحرب يتناقض معها ففي الوقت الذي يقول فيه:⁵

فلا تَكْتَمَنَّ اللهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ
يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابِ فَيُدْخَرُ
لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمَ اللهُ يَعْلَمُ
نراه يقول في نفس القصيدة:

جرئ متى يُظلم يُعاقب بظلمه
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
سريعاً وإلا يبد بالظلم يُظلم
يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم
ومن لم يذ عن حوضه بسلاحه

وهنا اتحفظ على ابن شرف في انتقاده زهيراً لقوله خبط عشواء ، وأويد زهيراً نعم الموت يخبط خبط عشواء ، فالموت للمريض أقرب، وقد يعيش المريض زمناً ويموت الصحيح الذي لا يشكو مرضاً ، والموت للمسّن الهرم أقرب ولكنه قد يعيش ويموت الرضيع ، وهكذا فالموت ليست منطقية في اختياراتها بل هي عشوائية الظاهر، مع قضاء الله وقدره في عقيدتنا نحن المسلمين وزهير جاهلي فلا غرابة أن يعبر بهذا التعبير.

أما فيما يتعلق بقوله " من لا يظلم " فقد دعا زهير كثيراً إلى نبذ الأحقاد ، وكان يرى أن ما يحل سلباً أفضل مما يحل حرباً ، ومع ذلك فالقوة من مقتضيات الحياة القبلية في الجاهلية" لم يستطع زهير على حبه للسلام من الخروج على سنة المجتمع القبلي فهناك العرض والشرف، وهناك العصبية التي تدعو إلى مناصرة ابن

1 طماس، حمدو، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص18

2 عباس، إحسان، 1992م، تاريخ النقد الأدبي، دار الثقافة بيروت، ص83

3 الجاحظ، البيان والتبيين، ص354

4 المصدر السابق، ص84

5 يوسف، حسني عبد الجليل، 2003م، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. ص467

6 طماس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص68

العشيرة وهناك تقاليد الثأر والدفاع عن الجار، كل ذلك يفرض على الجاهلي أن لا يتغاضى عن وسيلة السلاح وأن لا يظهر بمظهر الضعيف في مجتمع لا يؤمن إلا بالقوة، وكأنني به يقول ما ورد في المثل اليوناني إذا شئت السلم فتأهب للحرب"¹

فالظاهر في قوله "وإلا يبد بالظلم يُظلم" ومن لا يظلم الناس يُظلم " انه يبني ويهدم في أن واحد فنراه يدعو لنبذ الحروب ثم يدعو لرد الظلم وليس هذا فحسب بل هو يصف حالاً موجودة أقرب منه إلى تقرير حكم أو الدعوة إلى التخلق بالظلم، ولهذا فزهير يبدو متوافقاً مع مجتمعه أكثر من توافقه مع نفسه ومعلوم أن موضوعات المعلقة تتشاجر وتتكاثر ، وكل موضوع من موضوعاتها يحتاج وجهة نظر تناسبه ، فالحديث عن الحرب والنفير منها له وجهة نظر ، والحديث عن الممدوح وقوته يحتاج وجهة نظر تناسب ذلك أيضاً والقوة والظلم بمعنى المبادأة بالحرب من أفضل صفات المدح عند المجتمع الجاهلي .

3- مصطفى صادق الرافعي (1881م، 1937م)

يقول الرافعي " ويظهر لمن تدبر شعر زهير أنه ضعيف الابتكار لا يعارض في ذلك الفحول المعدودين كأمري القيس وغيره، ولكن صنعته غطت على هذا النقص ، فقلما ينكشف إلا لمن عارض وتتبع، وقد تراه يأخذ في صفة من الصفات كنعنت الناقة أو حمر الوحش أو طراد الصيد، فلا يزال ينحتها من ألفاظه حتى كأنها تتمثل دمية مصورة إن لم تكن فيها حياة فإن لحسن في تمثالها حي، وترى الرأي يغلب شعر هذا الرجل ،فكأنه شعر سيد لا شعر شاعر ومن ذلك قوله:

وإن الحق مقطعه ثلاث
يمين أو نفار أو جلاء

وبهذا سُمي زهير قاضي الشعراء"²

وهنا نرى الرافعي لا يعد زهير في كبار الفحول من الشعراء، وهذا خلاف ما رآه النقاد قديماً كما لاحظنا سابقاً وأما وصفه لشعره بأنه ضعيف الابتكار والاختراع، فهذا يُحيلنا على الاعتقاد بأن الرافعي يصدر حكماً على شاعر لم ينتبه لشعره فديوان زهير يزخر بالعديد من الأبيات التي عدها النقاد وعلماء البلاغة مما سبق به زهير وتبعه فيه غيره مما يدل على بُعد المرمى وفرط المقدرة والتي لا يأتي بها إلا الشاعر الفحل ويعلل الرافعي شاعرية زهير بأنها كانت نتيجة صنعته التي غطت على ضعف الابتكار عنده. ونرى الرافعي يقول " إن زهيراً أشهر من عرف العرب باستثباب اللفظ وتخير الكلمة وتنقيح العبارة ، فلا جرم أنه كان أحصفهم شعراً ، وأفصحهم لفظاً ، ولا يزال قد رمى في شعره بالحكمة الرائعة والمثل السائر، والمعنى اللطيف، واللفظ الفخم الجليل، والقول المنسق النبيل، وقد سلس له النظام وأطاعه عصي الكلام فلا تتبين في ألفاظه ذلة الاستكراه، ولا هوان الاعتساف ، ولا تكاد اللفظة تميل في الكفة حتى تقع أختها في الكفة الأخرى فتنساويا، ومن أجل ذلك قلّ المنحول في شعره لأنه ديباجة غير ممزقة ، ونسيج غير مخرق..."³

والرافعي بهذا القول يجعل زهيراً ضمن المطبوعين الذين تأتي ألفاظهم عفواً بلا تكلف ولا اعتماد ذهن ولا تعسف ونعرف أن المشهور عن زهير خلاف ذلك فهو صاحب الحوليات المشهور والمنقح الجاهلي المعروف، فهل كان تحليل الرافعي واقعياً دقيقاً؟

أم أنه توصل إلى رؤية نقدية جديدة تجمع بين المذهبيين " الصنعة والطبع! بمعنى أن زهيراً رغم تأنيه إلا أن ألفاظه تأتي انسيابية عفوية أو بعبارة أخرى ليس هناك مظهر واضح للصنعة في شعره.

4- محمد هاشم عطية (1373م، 1953م)

يكاد الرواة يجمعون على شاعرية زهير وإعطائه مكانته اللائقة به في الطبقة الأولى التي تضم أربعة شعراء وهم: امرؤ القيس، والنايعة وزهير والأعشى وقد اختلفوا في تقديم أحدهم على الآخر، وقد لقي زهير المرتبة الأولى بالنسبة لأهل الحجاز والبادية.⁴

وقد كان شعره متصلاً بالبادية ولعل ذلك تقديم أهل البادية له على غيره من شعراء الطبقة الأولى يقول محمد هاشم " ويتصل شعره بمظاهر البادية اتصالاً فيه تصوير لطبائع الأشياء قريب الانتزاع لطيف

1 عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص216

2 الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج3، ص241

3 المصدر السابق، ص241

4 عطية ، محمد هاشم 1997م، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، ، ص206

الموقع، يكاد البيت والأبيات منه يعطيك صورة واضحة لما يتعاطاه من وصف طلل أو مرتع وحش، أو ارتحال ضغينة أو ما مائل ذلك"¹

وبما أن شعره شديد الاتصال بالبادية دفعه ذلك إلى العناية بالتفاصيل وإبرازها بشكل كبير، يقول بهيج قنطار في ذلك " ولعل أول ما يسترعي الباحث في عمل زهير ، أنه يعنى بتحقيق صورة فهو لا يأتي بها متراكمة كما كان يصنع أمرؤ القيس بل يعمد إلى تفصيلها وتمثيلها بجميع شعبها وتفاريحها وكأنه يبحثها ويحققها....ويستطيع القارئ أن يعود إلى معلقته التي تصور مهارته في صنع صورة تصويراً دقيقاً"²

5- أحمد حسن الزيات (1302هـ، 1388هـ)

يقول: " هو كما علمت أحد الثلاثة الفحول ، وفي الناس من يُفضله على أمرئ القيس والنابغة ، لأن شعره يمتاز بصدق اللهجة ، وخلوه من الحواشي والتعقيد ، وبُعده عن سُخف القول وهُجر الحديث، وجمعه الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ ، وهو واحد من الشعراء في إجادة المدح وضرب المثل وإرسال الحكمة"³ يقر الزيات بأفضلية زهير على النابغة وأمرئ القيس للأسباب الآتية: كون شعره يحمل عنصر الصدق، وبعده عن الحواشي وغريب الحديث فضلاً عن جمعه الكثير من المعاني في قليل اللفظ وهو ما عبّر عنه قدامه بن جعفر بالإشارة، فالإشارة : اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة بالمحة الدالة ومثل عليها بقول زهير:⁴

وإني لو لقيتك فاجتمعنا
لكان لكل مندية لقاء⁵

6- طه حسين: (1307هـ ، 1393هـ)

يقول في كتابه " في الأدب الجاهلي عن شعر زهير: "حين تقرأ شعر زهير فأنت مضطر إلى أن تلاحظ أنه كأستاذة شديد اتصال الخيال بالحس ، شديد الاعتماد على الحواس في إخراج صورته الشعرية وهو أحرص من أستاذه على هذا.. وهو كأستاذة متأن حريص على الأناة ، يتخذ الشعر فناً وصناعة ، ولا يندفع فيه على سجيته ، وأثر زهير في هذا النحو الفني أظهر من أثر أوس ، لأن لغته أيسر من لغة أوس، ولأن شهرته أبعد من شهرة أوس، ومن هنا كثر الاستشهاد بشعر زهير في البيان. إن هذه اللغة الأدبية الفنية قد تطورت في شعر زهير ، فبُعد ما بينها وبين لغة أوس، وقرب ما بينها وبين لغة القرآن : قل فيها الغريب ودنت إلى الإفهام دنواً ظاهرًا"⁶

7- حنا الفاخوري:

يقول في كتابه " الجامع في تاريخ الأدب العربي: "إن زهير بن أبي سلمى من أشد الشعراء الجاهليين دقة في الوصف واستكمالاً للصورة الحسية بطريقة متسلسلة ترضي العقل والخيال معاً ومن أشهر ما في معلقته حكيمه التي خولته مكاناً مرموقاً بين الشعراء"⁷

ويرتضي الفاخوري الصنعة في شعر زهير بقوله: " وإنك تلمس الرصانة في الوزن الشعري وحسن اختيار الألفاظ والعبارات ، وفي الوضوح الفكري والسهولة الأدائية ، وذلك أن زهيراً يرمي إلى النفع ولا ينظم لإرضاء الفن الصافي ولا لإرضاء الحاجة الشعرية فيه، وهو لأجل ذلك يأخذ شعره بالثقاف والتنقيح والصفل، فهو يُعنى بتحضير مواده ويتعب في هذا التحضير تعباً شديداً"⁸

ويقصد الفاخوري بقوله " يرمي إلى النفع" أي أنه لا يطلب إعجاباً بقول، ولا ثناءً على بلاغة ، فهو لا يهدف إلا للإصلاح والإرشاد وذلك من خلال حكمه التي تتميز بوضوح المعنى ودقة الأداء ، والبعد عن التعقيد حتى يعيها ويفهمها الناس ويتصرفوا بناءً عليها وكل ذلك لا يتأتى إلا من خلال التنقيح والصفل والروية في قول الشعر حتى يحقق البيت مغزاه بتمام ووضوح.

1 عطية ، محمد هاشم ، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، ص206

2 القنطار ، بهيج، 1986م، الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، دار الأفاق الجديدة بيروت ، ط1، 705

3 الزيات، أحمد حسن، 1978م، ط8، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة بيروت، ص61

4 ابن رشيق، العمدة، ص302

5 طماس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص15، مندية: داهية تندي صاحبها عرفاً لشدة هولها عليه

6 حسين، طه، في الأدب الجاهلي، دار المعارف مصر، ط10، ص284

7 الفاخوري، حنا، دت، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة بيروت، ص215

8 المصدر السابق، ص219

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة خلصت إلى جملة من النتائج من أهمها:

- 1- زهير شاعر السلام في الجاهلية، وأفكاره التي نادى بها عن السلام تُعد شيئاً غير مسبوق في بيئة الكر والفر.
- 2- أمن زهير بقيم صحيحة أقرها الإسلام، ولهذا كان أكثر شعراء الجاهلية تقديراً عند كبار الصحابة.
- 3- زهير شاعر الحكمة والتعقل فقد ارتبط اسم زهير بالحكمة، حيث يقدم نظرة واقعية للحياة تجمع بين التجارب الحياتية والقيم الأخلاقية.
- 4- زهير من الشعراء الذين لفت شعرهم انتباه كثير من النقاد والمهتمين والمتذوقين على اختلاف العصور.
- 5- كان زهير شاعراً يحترم شعره، ويحترم المتلقين أيضاً، ولهذا كان يهتم بدقة بتهديب قصائده حتى أن القصيدة تبقى حولاً كاملاً قبل إعلانها للناس حتى اشتهر بأنه صاحب الحوليات.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

المصادر والمراجع

- 1- ابن رشيق، الحسن بن علي، 1981م، العمدة، دار الجيل، بيروت، ج2، 1
- 2- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، 1980م، الشعر والشعراء، دار الثقافة بيروت، ج1
- 3- الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني، دار الثقافة بيروت، ج10
- 4- الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين، دار صعب، بيروت، ج2
- 5- الجمحي، محمد بن سلام، <1980>، طبقات فحول الشعراء، دار المدني جدة، ج1
- 6- الرافعي، مصطفى صادق، 1974م، تاريخ آداب العرب، ج3 دار الكتاب العربي، بيروت
- 7- الزيات، أحمد حسن، 1978م، ط8، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة بيروت
- 8- الفاخوري، حنا، دار الثقافة بيروت، الجامع في تاريخ الأدب العربي
- 9- القطار، بهيج، 1986م، الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، دار الأفق الجديدة بيروت، ط1،
- 10- حسين، طه، في الأدب الجاهلي، دار المعارف مصر، ط10
- 11- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر
- 12- طماس، حمدو، 2005م، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار المعرفة بيروت
- 13- عباس، احسان، 1992م، تاريخ النقد الأدبي، دار الثقافة بيروت
- 14- عطيه، محمد هاشم، 1997م، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي
- 15- يوسف، حسني عبد الجليل، 2003م، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **AJASHSS** and/or the editor(s). **AJASHSS** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.